مجلة الدراسات الأثرية
المجلد: .19.العدد: 2021/1/.ص ص.: 27-40
ISSN: 1111-7699
EISSN2600-6499

معطيات جديدة حول أنصاب ونقيشات المدافن الميغاليثية بجنوب قرطن

New data on stelae and inscriptions from megalithic burials in southern Cirta

مراد زرارقة [1]♦

[1] قسم الآثار جامعة 8 ماي 1945– قالمة. zerarka.mourad@univ-guelma.dz

تاريخ الإستلام 2021/07/.14 تاريخ القبول 2021/11/16 تاريخ النشر 2021/12/19

الملخّص

أجمعت الأبحاث المتعلّقة بالمدافن الميغاليثية وشبه الميغاليثية منذ مطلع القرن التاسع عشر في شمال الجزائر، على أنّ تأريخها يعود إلى فترة فجر التاريخ على غرار ما هو قائم في أوروبا، رغم تاريخية عدد معتبر من المرفقات الجنائزية المعثور عليها داخل المدافن وكذا تقنيات قلع وتشذيب الصخور المستعملة في تشييدها، التي تتطلّب استعمال تقنيات وأدوات ووسائل من الحديد الصلب مطابقة لتلك المستعملة أثناء الحقبة القديمة. وسوف ندعّم فكرة تاريخية هذا النوع من القبور الجلمودية بسلسلة من المصادر والدلائل الأثرية والمتمثّلة في العثور على أنصاب ذات نقوش وكتابات وعناصر معمارية في محيط وبداخل بعض المعالم كالمصاطب والبازينات والتلال الجنائزية.

الكلمات المفتاحية: فجر التاريخ، الميغاليثية، المدافن، النقيشات، الأنصاب .

Abstract

Since the beginning of the 19th century in northern Algeria, and like what exists in Europe, the research on megalithic and para-megalithic burials has unanimously recognized that their dating goes back to the protohistoric period, despite the historicity of a large number of funerary items found inside the graves, as well as the extraction techniques and the cut of the rocks used in the construction of the graves. their construction required the use of techniques and steel tools identical to those used in Antiquity. We will support the historicity of this type of megalithic tombs with a series of sources, archaeological artefacts, epigraphic texts, and architectural elements near and inside some funerary monuments such as dolmens, bazinas and tumuli.

Keywords: protohistory, megalithic, burials, epigraphy, stelae.

♦ المؤلف المرسل.

مقدّمة

على غرار ما هو قائم في أوروبا، أجمعت الأبحاث المتعلّقة بالمدافن الميغاليثية وشبه الميغاليثية منذ مطلع القرن التاسع عشر في شمال الجزائر، على أنّ عدد من أنواعها ذو أصول وتأثيرات أجنبية رغم أصالة ومحلية نمطها المعماري[1]، كما أجمعت على أنّ تأريخها يعود إلى فترة فجر التاريخ رغم تاريخية عدد معتبر من المرفقات الجنائزية المعثور عليها داخل المدافن، وكذا تقنيات قلع وتشذيب الصخور المستعملة في تشييدها، التي تتطلّب استعمال تقنيات وأدوات ووسائل من الحديد الصلب مطابقة لتلك المستعملة خلال الحقبة القديمة[2]. ولدعم هذه الرؤية المؤسّسة، ارتأينا إلى تشغيل عناصر لا تقلّ أهميّة بالنسبة لتأريخ المدافن الجلمودية لوضعها في إطارها الزمني الحقيقي. فما هي طبيعة المادّة العلمية المعتمدة في دعم هذا الطرح، وهل لها صلة ستراتيغرافية بالقبور الميغاليثية. هذا ما سنحاول إثباته من خلال دراستنا الوصفية بمعطيات تحليلية جديدة لأماكن اكتشاف الأنصاب والعناصر الزخرفية الواردة في تقارير المكتشفين حيث وضعت في المتاحف وبقيت مقطوعة من أصالة نوع المواقع المستخرجة منها. وتتمثّل هذه المادّة في أنصاب ذات نقوش ورسومات وكتابات وعناصر معمارية لم يوضّح مكتشفوها بأنها تنتمي للمجتمعات الميغايثية، بل اكتفوا بوصفها تقنيا يستحال على قارئ التقارير أن يضعها في إطارها الأثري الأصلي لها. هذا ما دفعنا إلى إجراء تحقيق دقيق لكل ما ورد في المنشورات، بكل ما يخص مكان الاكتشاف واستغلال خلفيات الصور والأشكال المنشورة في إعادة تحديد أماكن العثور عليها، والتي وقفنا عليها خلال دراستنا الميدانية، أين اتّضح بأنها أنصاب ونقيشات تنتمي للمجتمعات الميغاليثية، كانت مدرجة في المدافن الجنائزية من نوع التلال الجنائزية والمصاطب، جلّها من مواقع سيلا، ذراع بوتومي، تيركّبين وسيقوس.

1. نقيشات المدافن الميغاليثية:

من ضمن أقدم النقائش الكتابية الليبية التي يمكن تأريخها، هي إحدى النقيشتين المزدوجتي اللغة اللتين عثرا عليهما بدوقّا ي تونس. فهي كتابة نقشت على مقدس Maqdas أقيم لمسينيسا في السنة العاشرة من حكم إبنه مسيبسا، ما يتوافق مع سنة 139 ق.م.

أمّا الكتابات الأخرى المزدوجة اللغة، التي عثر عليها بتونس ومنطقة قسنطينة، منها ما يظهر عليها بجانب النص الليبي، نص مكتوب إمّا بالبونية الجديدة وإمّا باللّاتينية، فيرجع تأريخها للحقبة الرومانية. ولنفس العهد أيضا تنتمي الأنصاب الحجرية المكتوبة بأحرف ليبية فقط، والتي تقدّم نحت غائر يدل أسلوبها على القرون الثلاثة الأولى للميلاد[3]. وحتى كيفية وهيئة تمثيل الأشخاص ونوعية القرابين والهدايا المصوّرة عليها، لا تختلف عن تلك المشكّلة على الأنصاب النذرية والجنائزية اللّاتينية والبونية.

[1] زرارقة مراد، المدافن الميغاليثية وشبه الميغاليثية، بين الأصالة والتأثيرات الخارجية. مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 7، سبتمبر 2018. ص.39-52.

[2] زرارقة مراد، طرق ووسائل قلع وتشذيب الصخور المستعملة في بناء المعالم الجنائزية الميغاليثية وشبه الميغاليثية. مجلة الآثار، جامعة الجزائر.عدد خاص،2012 . ص. 93-106.

[3] Gsell S., Histoire ancienne de l'Afrique du nord .T. VI., P. 97.

هذا يوضّح مدى اتّباع وتأثّر الرعيّة التي كانت تقطن المناطق التي بها هذا النوع من النقيشات الليبية، بأمرائهم وملوكهم الذين نحتوا على النقيشات وسكّوا العملات باللغة والأبجدية البونيتين تارة، وباللاتينية تارة أخرى، وكأنّ الأمر يتعلّق بموضة تقتدى أو تملى من طرف أصحاب النفوذ والسلطة، كون هذه الظاهرة منتشرة على رقعة جغرافية واسعة الأرجاء تمتدّ من مناطق الغرب التونسي مرورا بأحواز القالة معقل قبائل المزيكيري ثم جنوبا بسوق أهراس، بوشقوف، قالمة ومنطقة قسنطينة. بينما كان البعض من النوميديين على عكس ذلك، لم يتنكّروا لعادات الأجداد وإرثهم وبقوا محافظين على الكتابة بالأبجدية الليبية على أنصاب ذات ايكنوغرافية محلية محضة، كتلك المعثور عليها على التلال الجنائزية بتيركابين وذراع بوتومي وبمنطقة عين مليلة بصفة عامة.

وحسب F. Logeart العارف بكل ما يتعلّق بمحيط عين مليلة أين تقلّد مناصب إدارية بها يقول بأن أغلبية الشواهد والنقيشات الليبية عثر عليها في وسط وبجوار التلال الجنائزية والمصاطب المنتشرة على منطقة واسعة من جبل الفرطاس، سيقوس وذراع لغوالي (بووشّن) وعلى المرتفعات الجبلية القريبة منها كتيركّابين، سيلا وجبل تيساليا. العديد منها اندثر وضاع و ما تبقّى فهو محافظ عليه في حديقة متحف سيرتا ونذكر منها:

المعلم الذي نقل إلى هذا المتحف قبيل 1936 برعاية M. Vallet رئيس الجمعية الأثرية لقسنطينة وبمساهمة من قبل M. Giuli[4]، ويعرف بنصب روتاتن. يقول بخصوصه فال A. Vel بأنّه نصب حجري عمودي منقوش برسم وكتابة، عثر عليه على الضفّة اليمنى لواد الخنقة مقابلا لتركّابين[5]، (وبناءً على هذا الوصف وكذا استغلال الصورة التي إلتقطها شابو أثناء الإكتشاف من حيث الخلفية التي تظهر البيئة المباشرة لمكان النصب، اتضح لنا بأنّه كان منصوبا في نقطة انطلاق ذراع بوتومي الغني بمدافن التلال الجنائزية، ابتداءا من واد الغرسة. في تحديد موقع الاكتشاف الموافق مع نقطة انطلاق ذراع بوتومي ذو التلال الجنائزية ابتداء من واد الغرسة). مقاساته تقدّر حسب فال بـ 4.20 م طولا و1.20 م عرضا و0.40 م سمكا. نقش عليه شخص واقف تحت واجهة معبد، طوله 2.14 م، يحمل بيده اليمنى رمحا عموديا، أمّا اليسرى فموضوعة على البطن على هيئة مسك السيف (الصورة 1 و2) ونقش على جانبي الشخص، كتابة ليبية متكوّنة من متوسّط 28 حرفا (الصورة 3).

[4] Logeart F., « Nouvelles inscriptions Libyques de la commune mixte d'Ain M'lila ». RSAC., T. LXIII, 1935-1936. P. 187.
[5] Vel A., « Inscriptions libyques inédites relevées sur le territoire de la commune mixte d'Aïn M'lila », RSAC, t. XXXVIII, 1904 P. 28

(الصورة 1) خلفية مكان اكتشاف نصب روتاتن التي ساعدتنا في نسبه للمجتمعات الميغاليثية. (تصوير شابو[6])

(الصورة 2) نصب روتاتن، بحديقة متحف سيرتا (تصوير الباحث)

(الصورة 3) الكتابة الليبية لنصب روتاتن، على يمين ويسار الشخص (حسب Vel)[7].

وبناءً على التحريات الميدانية التي أجراها لوجار في هذه الجهة، اكتشف سبعة نقيشات جديدة من بينها أجزاء لنقيشات. الأربعة الأوائل وتتمثّل في ثلاثة أنصاب حجريّة عمودية وجزء من شاهد، كانت مترامية وملقاة على المنحدرات الشرقيّة

[6] Chabot J.B., Recueil des inscriptions Libyques. Paris 1940. PL. IX.
[7] Vel A., « Monuments et inscriptions libyques relevés dans les ruines de Tir-Kabbine, situé sur le territoire de la commune mixte d'Aïn-M'lila ». *RSAC.*, t. XXXIX. PL. I, P. 203 , 1905.

لربوة سيلا على بعد 10 أمتار من حدود المدينة الرومانية في مكان صخري تقطعه بقايا أسوار منهارة من صخور ضخمة غير مشذّبة قد تكون متزامنة للفترة الميغاليثية[8].

وحين زيارتنا لهذه الرقعة من الموقع، عثرنا على بقايا هذه الأسوار مازالت أجزاء منها شامخة في المنحدرات الشمالية الشرقية والشمالية الغربية من الربوة[9]، كانت تحمي بلدة نوميدية محاطة من كل الجهات بمدافن ميغاليثية وشبه ميغاليثية.

على إحدى هذه الأسوار عثر بها على نصبين حجريين عموديين يبعدان عن بعضيهما بـ 18م، الأوّل منها كان معروف من قبل حيث عثر عليه فروبنيوس سنة 1914 وقد صرّح منذ ذلك الحين من طرف M. Bosco ضمن الشواهد المفقودة الذي بحث عليه سنة 1927 دون العثور عليه.

كما اكتشف لوجار نقيشة ليبية بونية مكسورة من الجهة العلوية والسفلية، وضعت بمتحف قسنطينة إلى غاية قيام بارتيي A. Berthier بتسليمها إلى شابو J.B. Chabot قصد دراستها، فيقول هذا الأخير بأنّها مزدوجة الكتابة، قسم ليبي تعلوه كتابة بالبونية الجديدة ذات نمط مشابه لتلك المعثور عليها بقسنطينة (ويقصد بها نقيشات الحفرة) لكن بمظهر أقدم وأيضا قليل الاختلاف مع أسلوب نقيشة دوقّا المؤرخة بالسنة العاشرة من حكم مسيبسا وما تبقّى من الكتابة الليبية سوى سبعة أحرف (الصورة 4).

(الصورة 4) القسم اللّيبي من نقيشة حانون ابن فاتار(تصوير الباحث).

أمّا البونية فهي على سطرين منقوشين داخل إطار مستطيل ذو سطح صقل بإتقان، كتب عليها:"حجارة حانون ابن فاتار مواطن من ت.ج.س.ف. *TGÇF* " (الصورة 5).

(الصورة 5) القسم البوني لنقيشة حانون ابن فاتار(تصوير الباحث).

[8] Logeart F., Op. Cit. P.188.

[9] زرارقة مراد، أنماط السكن في المجتمعات الميغاليثية بالشرق الجزائري. مخبر اشتغال الأرض، التعمير وأنماط العيش في بلاد المغرب في العصور القديمة والوسيطة. سوسة، 2017. ص.83.

هذا الموطن الذي يجهل تحديده، لا يمكن أن يدلّ على سيقوس ولا على سيلا حيث يتكوّن في بدايته على حرفي ت.ج. TG على غرار العديد من أسماء الأماكن بإفريقيا الشمالية مثل تقاست *Thagaste*، تا(ق)ورة *Thagura*، وتيقزيرت Tigzirt ... ويضيف شابو بأنّه من ضمن أسماء الأماكن المعروفة والقريبة من أسم الموطن المذكور والذي يكون تيجيسيس *Tigisis* (عين البرج حاليا) الذي يبعد بـ 12 كلم شرق سيقوس.

وقد لاحظ شابو على الجزء البوني أنّ عبارة "حجارة" أستعملت في الجمع، فهذه الإشكالية رفعت عن طريق نقيشة أخرى محفوظة بمتحف اللوفر والتي كتب عليها: "إلى لقواكان ابن قنردات ... نصبوا هذه الحجارة"، فتسائل عن فحوى استعمال عبارة حجارة في الجمع والذي وجد له إجابة بكون النقيشات الجنائزية كانت أحيانا تنصب في مركز الحلقة الدائرية المتكوّنة من صخور منفصلة، هذه التركيبة تذكّرنا عموما كما يقول بالبازينات الحالية لأهالي الجنوب الجزائري. فيكون مجمل هذه الحجارة التي كان يقصدها نقّاش هذه النقيشة باستعماله لعبارة حجارة في الجمع[10].

وتدعيما لفكرة شابو المبنيّة على تحليل افتراضي والذي قد يعتقده البعض غير كافي، فقد وقفنا على اكتشاف جديد خلال دراستنا الميدانية بموقع ذراع بوتومي ذو التلال الجنائزية على إحدى الشواهد غير المكتوبة ملقى في الأرض بمقربة من إحدى التلال الجنائزية، والذي لم يكن متواجدا سنة 1989 لمّا زرنا المقبرة لأوّل مرّة، فاستخرج من مكانه الأصلي عن طريق نبش غير مرخّص من مركز تل جنائزي مازالت آثار التخريب بادية عليه، ما تبقّى منه يمثل شخصا واقفا، يحمل بيده اليمنى رمحا عموديا(الصورة 8).

وفي إحدى المقابر الهامة بحوض السيبوس، الواقعة بآثار هضبة كدية البطّوم على بعد بعض الكيلومترات من قرية دوفيفيي (بوشقوف حاليا) على الطريق الرابط بين عنّابة وسوق أهراس، والتي اكتشفت من طرف القس موجال Abbé Mougel ثم أجريت عليها تنقيبات من طرف De Rouviere الذي سلّم للطبيب روبو نتائجها ومخططاتها[11] أين عثر كل من القسّ والنقيب على نقيشات ليبية شكّلت واحدة منها إحدى أضلع الغرفة الجنائزية لمصطبة كما عثر بداخل مصاطب نفس الموقع على مصابيح رومانية وأواني فخارية.(الشكل 1)

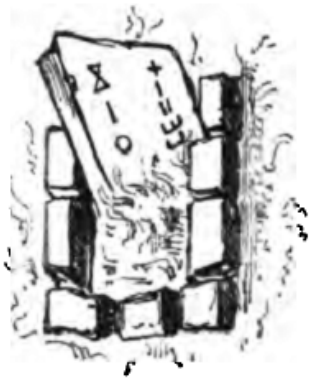

(الشكل 1) كتابة ليبية لغرفة مصطبة كدية البطّوم (جسب Reboud).

[10] Chabot J.B., « Note sur une inscription Punico-Libyque de Sigus ». R.S.A.C.,1935-1936,T. LXIII. PP. 198-199.

[11] Reboud Dr., « Procès verbal de la séance du 01 février 1870 ». C.r. de la S.F.N.A. Vol. 2, 1870. P.195.

وبمقبرة جبل سي الطّاهر وبوجه التحديد في موقع مزارة الطيور، يقول طوماس Ph. Thomas بأنّها متكوّنة من تلال جنائزية صغيرة غرفها الجنائزية غير بارزة فوق سطح الأرض، هذه التلال ذات أشكال بيضوية ممدودة نوعا ما ونادرا ما تكون مربّعة وفضائها الخارجي يكون دوما مسطّح...الصخور التي بنيت بها فهي عموما صمّاء، متعدّدة الزوايا وصغيرة الحجم مغروسة جزئيا داخل سطح الأرض، لكن في البعض الآخر صادف صخور منحوتة ومعدّلة، يعتقد بأنّها جلبت من المواقع الرومانية المجاورة، وعلى إحداها عثر على جزء من نقيشة لاتينية كتب عليها[12]:

A
I. A
IVI I
VII
B.Q

ومن جهة أخرى يرى مومني بأنّ في سيقوس، هناك معالم أخرى ليست بالعدد الضئيل، تعدّ بشكل واضح موالية للفترة الرومانية، وربّما حتى للفترة البيزنطية، تحتوي في هياكلها الداخلية على صخور منحوتة جلبت من بقايا بنايات ومساكن....إحدى المعالم الجنائزية الميغاليثية، تعد مائدته بمثابة قاعدة لعصر الزيتون الرومانية بما تحتويه على القناة الدائرية ومصب السيلان الجد واضح[13]، فهذه البلاطة المنحوتة بإتقان مازالت في موضعها مرتكزة على صخور عِمادية ثخنة والمشكّلة لجدران الغرفة الجنائزية، فقد جلبت (قاعدة العصر هذه) من إحدى الضيعات العديدة المنتشرة في السهل. فهذا المعلم المميّز جدا من حيث الفترة، ما هو إلاّ جزء من مجموعة أخرى تعدّ بالمئات من العناصر المنتشرة في شعبة اللوز على المنحدرات السفلية للجهة الجنوبية الشرقية لجبل الفرطاس (الحدود الغربية لموقع بووشّن).

لتأكيد أخر لنظريّة مومني، الذي يضيف بأنّ هناك دليل مزدوج أبرزته مصطبتين كبيرتين بسيقوس توضّخ بشكل واسع عدم الأقدمية النسبية لهذه المعالم، فالدليل الأوّل عثر عليه شباسيير سنة 1886 خلال تنقيباته على قبور سيقوس حيث عثر بداخل إحدى مصاطبها على صخرة منحوتة تحتوي على كتابة لاتينية وهو نص نذري لكاهن خاص بالمعبود ساتورن. أمّا الثاني عثر عليه الرائد مومني في شهر ماي من سنة 1899 بإحدى المصاطب الكبيرة بسيقوس أيضا مدرجا في القاعدة وهو عبارة عن صخرتين منحوتتين ومنقوشتين كانا في الأصل يشكّلان واجهة مثلّثة Fronton لبناية رومانية، في الأولى كتابة لاتينية من ثلاثة أسطر ما تبقّى منها سوى عبارة *VIRTV* في بداية النص و *SIGISI* في السطر الثاني، أمّا الثالث لا يمكن قراءته (الشكل 2 و3).

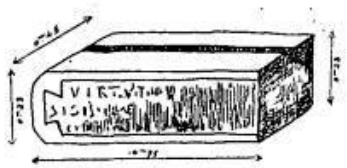

(الشكل 2) إحدى العناصر المعمارية المكتوبة والمدرجة في قاعدة مصطبة بسيقوس[14].

[12] Thomas Ph., « Recherches sur les sépultures anciennes des environs d'Ain-El-Bey. (Prés de Constantine, Algérie) », C^{ongr}. International des sciences anthropologiques. Paris, 1878. P.380.
[13] Maumené C^{dt}., « Les monuments mégalithiques des hauts plateaux de la province de Constantine ». Rev. Arch., 1901, T. XXXIX, PP.26-27.
[14] Maumené C^{dt}., Op. Cit, Fig 7, P.28.

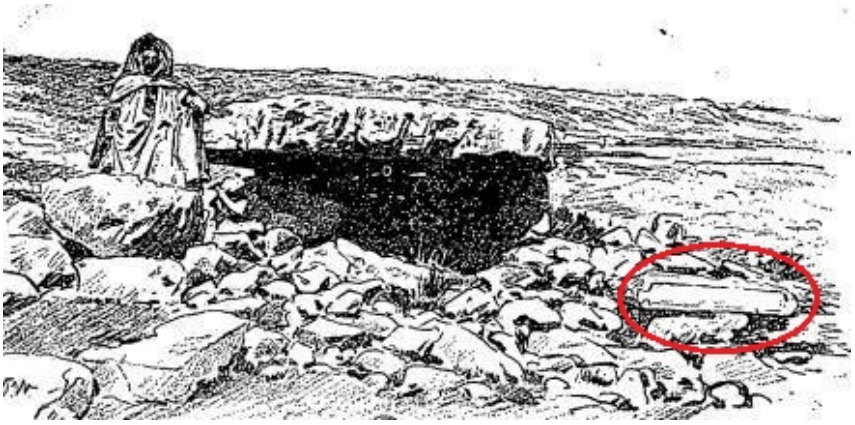

(الشكل 3) تموضع العنصر المعماري ذو الكتابة حسب Maumené) [1].

أما الثانية، فهي ممحيّة كليّا وتنسجم مع الأولى من حيث الأبعاد ونهاية إطارهما المشكّل بنحت من طراز ذيل السنونوة وبواسطة حفر قناة الربط المتواصلة بين الجزئين[15].

وفي نفس السياق عثرنا في سيقوس قرب المعلم الثلاثي الأرجل بالصفية على دليل آخر يتمثّل في إعادة إستعمال قاعدة لعصر الزيوت كمائدة تغطّي أحد الغرف الجنائزية مكسّرة حديثا إلى عدّة أجزاء مازالت آثار القناة بادية عليها.

لم تقتصر هذه الظاهرة على سيقوس بل تعدّتهما إلى مقابر أخرى بمنطقة قالمة وبوجه التحديد في موقع عين الخرّوبة الميغاليثي حيث أعيد استعمال إحدى البلاطات من عناصر معصرة زيت كمائدة جنائزية لقبر ميغاليثي.

قد يعتقد البعض بأنّ هذه العناصر استغلت قي الفترة الرومانية على أنقاد المعالم الميغاليثية إلاّ أنّ تموضعها المقلوب بكيفية تجعل واجهة قناة العصر موجّهة نحو داخل الغرفة الجنائزية المحكمة البناء تبطل هذا الاعتقاد.

هذا ما يدعّم نظريتنا بعدم إعادة استعمال هذه المعالم لفترات متأخّرة فحسب بل بمواصلة بناءها بأنواعها وأنماطها المعهودة كالتلال الجنائزية، البازينات والمصاطب خلال الفترة الرومانية.

2. النقوش والرسومات داخل المدافن الجلمودية:

هناك العديد من النقوش والرسوم عثر عليها داخل الحوانيت، تتضمّن مواضيع طبيعية وهندسية، نكتفي بذكر إحداها تقع بسيدي محمّد لطرش ضمن مجموعة هامّة من الحوانيت المزخرفة بأشكال وبعناصر متعدّدة ومتنوّعة، بما يساهم في حصر تأريخ استعمالها أو مواصلة استعمالها في بداية العصور التاريخية، أين يظهر رسم هندسي لمبنى بالمغرة الحمراء Ocre rouge يمثّل هيكل ضريح ذو قمّة هرميّة كالذي نجده في الأضرحة النوميدية على غرار صومعة لخروب وضريح عتبان بدوقّا (الصورة 6) أو تلك التي تواصل إستعمالها إلى غاية الفترة الرومانية التي نقشت على الأنصاب مثل النصب المزدوج الكتابة (ليبي–لاتيني) والمعروض بمتحف هبّون به تمثيل لضريح من نفس نمط الأضرخة المذكورة (الصورة 7).

[15] Maumené C[dt]., Op. Cit, P. 28

(الصورة 6) تمثيل لضريح داخل حانوت بسيدي محمد لطرش (تصوير الباحث).

(الصورة 7) ضريح هرمي القمّة على نقيشة ليبية لاتينية – موقع الشافية. بمتحف عنّابة (تصوير الباحث).

3. اللباس والأسلحة من خلال الأنصاب:

يمكن معرفة بعض المعطيات من خلال المواضيع المنقوشة على الأنصاب النذرية أو الجنائزية، أين يرى محمّد خير أورفه لي بأنّ استعمالها كان دينيا وعقائديا بحتا، فقد قدّمت هذه الأنصاب مشاهد إيكونوغرافية تصويرية أظهر الكثير منها وضع الإنسان الاجتماعي بتقاليده وأزياء لباسه والعادات التي يمارسها. لقد أمدّت الكثير من المعلومات التي لها علاقة كبيرة بالمجتمع وعاداته التي كثير منها ما استمرّ التعامل معه وتعاطيه حتى يومنا هذا[16].

وهذا ما يتجلّى في أنصاب حوض بومرزوق في جملة من الملابس والوسائل التي نستهلّها بـ:

1.3 الطاقية (الشاشية): حسب ابن خلدون الذي ذكر منذ ما يقارب الستة قرون على أن البربر يسيرون في الغالب ورؤوسهم عارية، وهذا أمر مستمد من عادة أجدادهم. ويقول شيشرون Cicéron بأنه لا المطر ولا البرد بقادرين على

[16] أورفه لي محمّد خير، نماذج من اللباس القديم من خلال الأنصاب في موريطانيا القيصرية أصالتها واستمراريتها عبر العصور. مجلّة الآثار، العدد 7، 2008، ص.115.

جعل مسينيسا يغطي رأسه[17]. وإنه لمن الأكيد أن مقربيه من أمراء وقادة الجيوش والقبائل وبصفة عامة كل أفراد الرعية مهما تعددت رتبها في المجتمع، كانت تقتدى به في هذا المظهر، وهذا ما تثبته الشواهد المادية ذات الصلة بالموضوع والمعثور عليها في منطقة حوض بومرزوق. ويكاد الأمر يكون نفسه في مقاطعة المازسيل أين نجد قطع نقدية تظهر الملك سيفاكس وهو عاري الرأس، ونفس الهيئة اتخذها كل من مسينيسا وأبنائه في أوجه عملاتهم.

فمن أشهر الأمثلة على ذلك تكمن في هيئة رأس المدعو روتاتن صاحب الشعر المجعد والكثيف ومختلف نقوش الأشخاص الذين كانت شواهدهم منتصبة على التلال الجنائزية الأخرى، فكلهم كانوا عراة الرؤوس.

ولسنا ندري إن كانت مسألة تعرية الرأس التي ذكرها شيشرون ظرفية بمواسم وفصول دون غيرها، فما ورد منه خاص بفصل الشتاء فقط، وإلاّ فكان ليقول "لا المطر ولا البرد ولا الحر بقادرين على جعل مسينيسا يغطي رأسه".

ويذكر كوريبوس Corripus في القرن السادس، أنّه كان يطلق صفة "صاحب الريش"على الكثير من رؤساء البربر وهي علامة تميز ذوي المزايا عن عامة الناس. وفي نفس عهد هذا الشاعر كوريبوس، أقلع حسبه بعض الأهالي عن السير برأس عار، واتخذوا غطاءا للرأس سمّاه بالا Palla وهو عبارة عن قطعة ثوب من القماش، تغطّي الرأس وتحيط به ملتفة، وتمسكها عقدة قوية[18].

2.3 البرنوس: في القرون الميلادية الأولى، وكذلك حتى في العهد البيزنطي، كانت تولية الرؤساء الأهالي تتم بإعطائهم رداءا أبيضا مشدودا كما يقول بروكوب Procope على الكتف الأيمن بمشدّ ذهبي كما هو الشأن في الرداء التيسالوني[19]. هذه التركيبة في شد الرداء تختلف تماما على ما هو عليه في البرنوس المغاربي الحالي، المخيّط على مستوى الصدر في المنطقة الفاصلة بين الجزء المخصّص لغطاء الرأس وباقي البرنوس. فنجده فضفاضا مصنوع من الصوف الأبيض وقليلا ما يكون ملوّنا بمختلف الألوان التي يغلب عليها اللون البنّي، والذي يرمى بأحد جناحيه على الكتف وله غطاء للرأس.

يجهل قزال ما إذا كان القول بأنّ لفظ برنوس مشتق من اللاّتيني *Birrus* أو *Burrus* لكنّه سرعان ما يرى بأنّه مقبول جدا، غير أنّ هذا لا يؤكّد حتما بأنّ البرنوس مأخوذ من اللاّتينيين. فالرداء المسمّى *Birrus* الذي كان في العهد الإمبراطوري الروماني مستعملا في الولايات الإفريقية كما في غيرها، قد كان في الأصل لونه أصهب لأنّ اسمه مأخوذ من الإغريقي *Stuppos* وتعني أصهب.

وقد عثر شربونو على عدد من الأنصاب منتشرة على الضفّة اليمنى لواد الكلاب وهي الضفّة التي تنتشر ابتداء منها المعالم الميغاليثية، يرتدي الأشخاص المنقوشون عليها على نوع من اللّباس الذي يشبه كثيرا البرنوس الذي ينتهي بمدبّب في أقصى الأطراف السفلية (الشكل 4)، هذه الخاصية نجدها حاضرة على كل رداءات الأشخاص الممثّلون في الأنصاب المعثور عليها فوق وبمقربة من التلال الجنائزية بذراع بوتومي وتيركّابين والمعروضة حاليا بحديقة متحف سيرتا (الصورة 9 و10) أو كتلك التي إكتشفناها بذراع بوتومي (الصورة 8).

[17] Gsell S, Op. Cit. P. 31.
[18] Gsell S, Op. Cit. P. 32.
[19] Gsell S, Op. Cit. P.25.

(الصورة 8) لباس ينتهي بمدبب من كل جهة على نصب بذراع بوتومي. (تصوير الباحث)

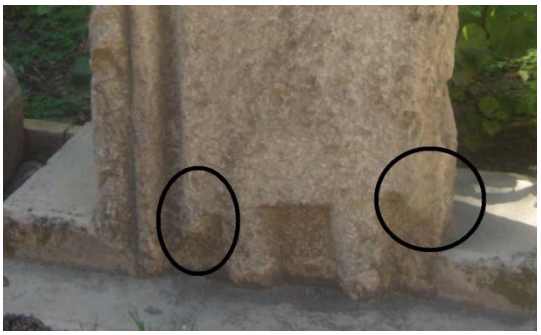

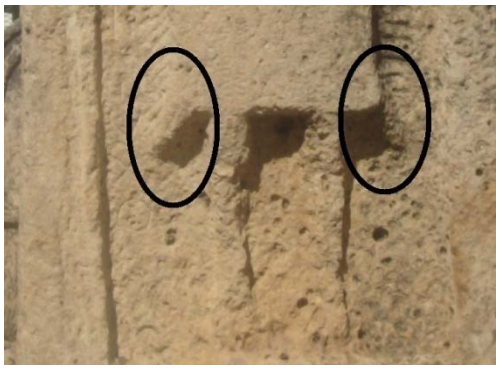

(الصورة 9 و10) أطراف مدبّبة في لباس أنصاب تيركّابين. (تصوير الباحث)

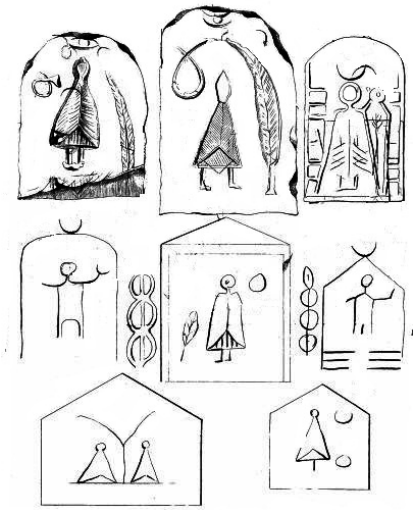

(الشكل 4) لباس ينتهي بمدبب في أقصى الأطراف السفلية (حسب Cherbonneau)[20]

2.3 الرماح: يرى قزال بأنّ الرماح ذات القضبان القويّة جدّا والتي تتمسّك بها اليد، قد مكثت سلاحا ضروريّا للصيد. بهذا مثلا كانت تجرى المبارزة مع الخنازير، أمّا في الحرب فكانت تستعمل على قلّة أثناء القرون السابقة لعهد الميلاد، وكذلك

[20] Cherbonneau M., « Excursion dans les ruines de Mila, Sufevar, Sila et Sigus pendant l'été de 1863 ». RSAC. T. XII, 1868, Pl. VIII.

أثناء القرون التالية له، لأنّ الأهالي كانوا يتحاشون المجابهة جسدا لجسد. فبضريح لخروب الذي أقيم خلال منتصف القرن الثاني قبل الميلاد عثر بداخله على بقايا أربعة رماح، أين يجب القول بأنّ الأسلحة التي وضعت بقبر هذا الأمير قد كان أغلبها من أصول أجنبيّة. غير أنّ السنان الحديدي الذي عثر عليه في المغرب الشرقي والأنصاب التي عليها كتابة ليبية ورسوم لمحاربين يحملون الرماح، تبرهن على أنّ هذا السلاح لم يتخل عنه لا النوميديون ولا الموريون[21].

وبمنطقة حوض بومرزوق يتجلى هذا السلاح على عدد من الأنصاب المعثور عليها على التلال الجنائزية المحيطة ببلدة تيركّابين، محمولا دوما باليد اليمنى وموازيا لجسد الشخص الذي يحمله في هيئة عمودية أو مائلة جزئيا حسب ما يقتضيه النقش البارز السابق لنحت الرمح كما هو الحال في النصب الأوسط (للصورة 11) الذي حتّمت الكتابة الليبية ميلان مِحور الرمح نحو اليمين.

(الصورة 11) رماح منقوشة على أنصاب تيركّابين. (تصوير الباحث)

3.3 السيوف: يتحدّث قزال عن هذا السلاح وكأنّه غريب على المجتمع النوميدي، فيستهلّ الموضوع بذكر السكاكين والخناجر المستعملة لدى الليبيين الرحّل حسب ما ذكرها هيلانيكوس في القرن الخامس، كما ذكر سترابون سكّين الفرسان الموريين على أنّهم لم يكونوا جميعا يحملون السكاكين، فالفرسان الممثّلون في عمود تراجان ليس لهم سكاكين. وفي القرن السادس كان الأهالي يحملون سلاحا سمّاه كوريبوس النصل *Gladius* يدخل في غمد ولا يشدّ على الجانب، وإنّما كان يعلّق في علقة لا شكّ أنّها من جلد وتدخل فيه الذراع... وبالطبع فإنّ النصل الذي يتحدّث عليه كوريبوس لا يمكن أن يكون سيفا، لأنّ تعليقه بهذا المكان يكون متعبا جدا، فهو إذن خنجر أو سكّين.

ويضيف بأنّ السيف الحقيقي لم يكن سلاحا إفريقيا، وعلى قول ديودور الصقلّي أنّ الليبيين الذين كانوا يسكنون الصحراء بين مصر والسدرتين لم تكن لديهم سيوف، وهناك رواية رواها تيت ليف وهي مشكوك في أمرها لكنّها تبرهن على الأقل بأنّ السيف لم يكن من الأسلحة المعتادة عند الفرسان النوميديين في عهد الحروب البونية، كما أنّ كلوديان يؤكّد بعد ذلك

[21] Gsell S., Op. Cit. P. 42.

بخمسة قرون أنّ الأهالي لا يحملون سيوفا[22]. ومع ذلك فإنّ البعض منهم قلّد الأجانب فاتّخذ هذا السلاح، فالليبيون الذين كانوا يعيشون خارج بلاد البربر (الأدرماشيون) بعيدا عن سرينايكا كانوا على قول سيليوس إيطاليكوس يستخدمون سيفا محدّبا يعرف بـ اليتاقان Yatagan يمكن الإعتقاد بأنّه من أصول إغريقيّة الذي قد انتشر في جنوب إسبانيا أيضا، ولكن حسب حدّ قول قزال، ليس لنا داع للإعتقاد بأنّ الموريين والنوميديين قد إستخدموه، ومع ذلك قد كان يستعمله بعض قادة هذين الشعبين حيث عثر على إحداها ضمن الأسلحة الموضوعة بجانب بقايا أحد الأمراء في ضريح لخروب، وهو سيف قصير جدا مشابه بالمنصل Glaive المستقيم والعريض والمدبّب الرّأس والذي كان مستخدما لدى الإسبانيين، واقتبسه الرومان منهم عند نهاية القرن الثالث أو في بداية القرن الثاني كما عثر على عيّنة من هذا النوع من السيوف متمثلا في نقش على نصب بموقع تيركابين (الصورة 12).

(الصورة 12) سيف منقوش على إحدى أنصاب تيركابين. (تصوير الباحث)

خاتمة

حاولنا من خلال أبحاثنا إبراز هويّة المجتمعات الميغاليثية، صاحبة بناء المدافن الجلمودية من تلال جنائزية وبازينات ومصاطب وحوانيت وغيرها من القبور، التي كانت ومازالت تنسب من طرف الباحثين في هذا المجال إلى فترة فجر التاريخ اقتداءً بالدراسات المقدّمة من طرف الفرنسيين. رغم وجود العديد من الأدلّة الأثرية والمقاربات التاريخية والإثنوغرافية، ضمن ديناميكية القبائل والشعوب داخل حيّز جغرافي ووسط طبيعي يعد بمثابة معقلا للمجتمعات الليبية بصفة عامّة، وللقبائل المحلية التي عاشت خلال الفترات التاريخية. فالانتشار الواسع لمقابر هذه الأنواع من المدافن، ينطبق تماما بالنسبة للشرق الجزائري والغرب التونسي على معاقل الأسرة الماسيلية بالنسبة لمحيط سيرتا، وكذا بالنسبة لقبائل الميزيكيري والنتابوت والموزولام والجيتول وغيرها من القبائل التاريخية التي دفنت مواتها داخل هذه المقابر بتقنيّات متطوّرة وبوسائل القلع والتشذيب فولاذية، تبيّن بأنها أدوات مماثلة ومطابقة لتلك المستعملة في الفترات البونية والرومانية. ونظيف لهذا، غنى المرفقات الجنائزية المصطحبة مع الأموات بالفخاريات المصنوعة بالدولاب والمصابيح الزيتية والقطع النقدية النوميدية والقرطاجية والرومانية، لنضيف لها من خلال هذا المقال استغلال النقوش والزخارف المتضمّنة مشاهد ايكونوغرافية، سمحت لنا بمعرفة جانبا من حياة هذا المجتمع الذي أستعمل أيضا النقيشات المكتوبة بالليبية والبونية

[22] Gsell S., Op. Cit. P. 43.

واللاتينية. فكل هذه الدلائل الأثرية عثر عليها ضمن عناصر المعالم الجنائزية الجلمودية أو في محيطها المباشر، والتي نرى بأنها تؤرّخ وتنسب إلى القبائل النوميدية التي كانت تقطن ربوع هذه الرقعة الجغرافية.

المراجع البيبليوغرافية

أورفه لي محمّد خير، نماذج من اللباس القديم من خلال الأنصاب في موريطانيا القيصرية أصالتها واستمراريتها عبر العصور. مجلّة الآثار، العدد 7، 2008.

زرارقة مراد، طرق ووسائل قلع وتشذيب الصخور المستعملة في بناء المعالم الجنائزية الميغاليثية وشبه الميغاليثية. مجلة الآثار، جامعة الجزائر.عدد خاص،2012.

زرارقة مراد، المدافن الميغاليثية وشبه الميغاليثية، بين الأصالة والتأثيرات الخارجية. مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد ،7 سبتمبر 2018.

زرارقة مراد، أنماط السكن في المجتمعات الميغاليثية بالشرق الجزائري. مخبر اشتغال الأرض، التعمير وأنماط العيش في بلاد المغرب في العصور القديمة والوسيطة. سوسة، 2017.

Chabot J.B., Recueil des inscriptions Libyques. Paris 1940.

Chabot J.B., « Note sur une inscription Punico-Libyque de Sigus ». R.S.A.C., T.LXIII.,1935-1936.

Cherbonneau M., « Excursion dans les ruines de Mila, Sufevar, Sila et Sigus pendant l'été de 1863 ». RSAC. T.XII, 1868.

Gsell S., Histoire ancienne de l'Afrique du nord. T. VI., Paris, 1920.

Logeart F., « Nouvelles inscriptions Libyques de la commune mixte d'Ain M'lila ». RSAC., T. LXIII, 1935-1936.

Maumené C^{dt}., « Les monuments mégalithiques des hauts plateaux de la province de Constantine ». Rev. Arch., T. XXXIX, 1901.

Reboud D^{r}., « Procès verbal de la séance du 01 février 1870 ». C.r. de la S.F.N.A. Vol. 2, 1870.

Thomas Ph., « Recherches sur les sépultures anciennes des environs d'Ain-El-Bey. (Prés de Constantine) », Algérie), C^{ongr}. International des sciences anthropologiques. Paris, 1878.

Vel A., « Inscriptions libyques inédites relevées sur le territoire de la commune mixte d'Aïn M'lila », RSAC, T. XXXVIII, 1904.

Vel A., « Monuments et inscriptions libyques relevés dans les ruines de Tir-Kabbine, situé sur le territoire de la commune mixte d'Aïn-M'lila ». *RSAC.*, T. XXXIX. 1905.